الباب الثاني

الحافظ العراقي وكتابه

«شرح التبصرة والتذكرة»

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

دراسة تحليلية لسيرة الحافظ العراقي

لا بد لنا وقد خضنا غمرة تحقيق كتاب شرح التبصرة والتذكرة أن نعرج على تعريف موجز بمؤلف الكتاب، ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ، لا سيّما أن هذا العمل يُعدّ مفتاحًا للولوج إلى معرفة أكثر بالمؤلف، تعين القارئ على تكوين صورة مجملة عنه، توضح مكانته العلمية والمدة الزمنية التي عاشها.

ويشتمل هذا الفصل على ثمانية مباحث نوردها تباعًا:

المبحث الأول

اسمه، ونسبه، وكنيته، وولادته:

هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي[١] الرازياني[٢] العراقي الأصل[٣] المهراني[٤] المصري المولد الشافعي المذهب. كنيته: أبو الفضل، ويلقّب بـ(زين الدين)[٥]. وُلِدَ في اليوم الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة (٧٢٥هـ).

---

(١) نسبة إلى أقوام يقطنون شمال العراق، إذ أن أصل المترجم منهم. الأنساب (٤/ ٦٠٩).

(٢) نسبة إلى رازيان: قرية من قرى إربل (أربيل: محافظة في شمال العراق). طبقات الحفاظ (٥٤٣).

(٣) نسبة إلى عراق العرب، وهو القطر الأعظم الذي يضم قرية أبيه. الضوء اللامع (٤/ ١٧١)، وطبقات المفسرين (١/ ٣٠٩).

(٤) نسبة إلى منشأة المهراني: موضع بين مصر والقاهرة، حيث ولد المترجم. طبقات الحفاظ (٥٤٣).

(٥) قد يخفف فيقال: الزين، كما جرت عادتهم آنذاك، فيقولون مثلًا: الشمس الذهبي والتقي السبكي ونحوهما (إيضاح).

المبحث الثاني

أسرته:

أقام أسلاف الحافظ العراقي في قرية رازيان -من أعمال إربل- إلى أن انتقل والده وهو صغير مع بعض أقربائه إلى مصر، إذ استقر فيها وتزوج من امرأة مصرية ولدت له الحافظ العراقي. وكانت أسرته ممن عُرفوا بالزهد والصلاح والتقوى، وقد كان لأسلافه مناقب ومفاخر، وكانت والدته ممن اشتهرن بالاجتهاد في العبادات والقربات مع الصبر والقناعة.

أمّا والدُه فقد اختصَّ -منذ قدومه مصر- بخدمة الصالحين، ولعلَّ من أبرز الذين اختصَّ والده بخدمتهم الشيخ القناوي[1]. ومن ثَمَّ ولد للمترجَم ابنٌ أسماه: أحمد وكنَّاه: أبا زرعة، ولقَّبه: بولي الدين، وكذلك بنت تدعى: خديجة، صاهره عليها: الحافظ نور الدين الهيثمي ورزق منها بأولاد، وأشارت بعض المصادر أنَّ له ابنتين أخريين: جويرية وزينب.

المبحث الثالث

نشأته:

وُلِد الحافظ العراقي -كما سبق- في مصر، وحمله والده صغيرًا إلى الشيخ القناوي؛ ليباركه، إذ كان الشيخ هو البشير بولادة الحافظ، وهو الذي سمَّاه أيضًا؛ ولكنَّ الوالد لَمْ يقم طويلًا مَعَ ولده، إذ إنَّ يدَ المنونِ تخطَّفته والطفل لَمْ يزل بَعْد طريَّ العود، غضَّ البنية لَمْ يُكمل الثالثة من عمره، وَلَمْ نقف عَلَى ذكر لِمَن كفله بَعْدَ رحيل والده، والذي يغلب عَلَى ظننا أنّ الشَّيْخ القناوي هُوَ الَّذِي كفله وأسمعه؛ وذلك لأن أقدم سماع وجد له كان سنة (٧٣٧هـ) بمعرفة القناوي وكان يُتَوقّعُ أن يكون له حضور أو سماع من الشيخ، إذ كان كثير التردد إليه

---

(١) هو الشيخ الشريف تقي الدين محمد بن جعفر بن محمد القناوي الشافعي، كان عالي الإسناد من الموصوفين بالصلاح، توفي سنة ٣٧٣هـ، الدرر الكامنة (٤/ ٣٥)، والضوء اللامع (٧/ ١٠٤)، وحسن المحاضرة (١/ ٤٢١).

سواء في حياة والده أو بعده، وأصحاب الحديث عند الشيخ يسمعون منه؛ لعلوِّ إسناده.

وحفظ الزينُ القرآنَ الكريمَ والتنبيه وأكثر الحاوي مَعَ بلوغه الثامنة من عمره، واشتغل في بدء طلبه بدرس وتحصيل علم القراءات، وَلَمْ يثنِ عزمه عَنْهَا إلا نصيحة شيخه العزّ بن جَمَاعَة، إذ قَالَ لَهُ: «إِنَّهُ علم كَثِيْر التعب قليل الجدوى، وأنت متوقد الذهن فاصرف همَّتك إِلَى الْحَدِيْث». وكان قد سبق له أن حضر دروس الفقه على ابن عدلان ولازم العماد محمد بن إسحاق البلبيسي، وأخذ عن الشمس بن اللبان، وجمال الدين الإسنوي الأصولَ وكان الأخير كثير الثناء على فهمه، ويقول: «إنَّ ذهنه صحيح لا يقبل الخطأ»، وكان الشيخ القناوي في سنة سبع وثلاثين -وهي السنة التي مات فيها- قد أسمعه على الأمير سنجر الجاولي، والقاضي تقي الدين بن الأخنائي المالكي، وغيرهما ممّن لم يكونوا من أصحاب العلوِّ.

ثمَّ ابتدأ الطلب بنفسه، وكان قد سمع على عبد الرحيم بن شاهد الجيش وابن عبد الهادي وقرأ بنفسه على الشيخ شهاب الدين بن البابا، وصرف همَّته إلى التخريج وكان كثير اللهج بتخريج أحاديث «الإحياء» وله من العمر -آنذاك- عشرون سنة وقد فاته إدراك العوالي مما يمكن لأترابه ومَن هو في مثل سنّه إدراكه، ففاته يحيى بن المصري -آخر مَن روى حديث السِّلَفي عاليًا بالإجازة- والكثير من أصحاب ابن عبد الدائم والنجيب بن العلاّق، وكان أوّل مَن طلب عليه الحافظ علاء الدين بن التركماني في القاهرة وبه تخرّج وانتفع، وأدرك بالقاهرة أبا الفتح الميدومي فأكثر عنه وهو من أعلى مشايخه إسنادًا، ولم يلقَ من أصحاب النجيب غيره، ومن ناصر الدين محمد بن إسماعيل الأيوبي، ومن ثَمَّ شدَّ رحاله -على عادة أهل الحديث- إلى الشام قاصدًا دمشق فدخلها سنة (٧٥٤هـ)، ثُمَّ عادَ إليها بعد ذلك سنة (٧٥٨هـ)، وثالثة في سنة (٧٥٩هـ)، ولم تقتصر رحلته الأخيرة على دمشق بل رحل إلى غالب مدن بلاد الشام، ومنذ أول رحلة له سنة (٧٥٤هـ) لم تخلُ سنة بعدها من الرحلة إمّا في الحديث وإمّا في الحجّ، فسمع بمصر ابن عبد الهادي، ومحمد بن علي القطرواني، وبمكة أحمد بن قاسم الحرازي، والفقيه خليل إمام المالكية بها، وبالمدينة العفيف المطري، وببيت المقدس العلائي، وبالخليل خليل بن عيسى القيمري، وبدمشق ابن الخباز، وبصالحيتها ابن قيم

الضيائية، والشهاب المرداوي، وبحلب سليمان بن إبراهيم بن المطوع، والجمال إبراهيم بن الشهاب محمود في آخرين بهذه البلاد وغيرها كالإسكندرية، وبعلبك، وحماة، وحمص، وصفد، وطرابلس، وغزّة، ونابلس ... تمام ستة وثلاثين مدينة. وهكذا أصبح الحديث ديدنه وأقبل عليه بكليته، وتضلّع فيه رواية ودراية وصار المعول عليه في إيضاح مشكلاته وحلّ معضلاته، واستقامت له الرئاسة فيه، والتفرد بفنونه، حتّى إنّ كثيرًا من أشياخه كانوا يرجعون إليه، وينقلون عنه -كما سيأتي- حتَّى قال ابن حجر: «صار المنظور إليه في هذا الفن من زمن الشيخ جمال الدين الأسنائي ... وهلمَّ جرًّا، ولم نرَ في هذا الفنّ أتقن منه، وعليه تخرج غالب أهل عصره»[(١)].

المبحث الرابع

مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:

مما تقدّم تبيّنت المكانة العلمية التي تبوّأها الحافظ العراقي، والتي كانت من توفيق الله تعالى له، إذ أعانه بسعة الاطلاع، وجودة القريحة وصفاء الذهن وقوة الحفظ وسرعة الاستحضار، فلم يكن أمام مَن عاصره إلاّ أن يخضع له سواء من شيوخه أو تلامذته. ولعلّ ما يزيد هذا الأمر وضوحًا عرض جملة من أقوال العلماء فيه، من ذلك:

١. قال شيخه العزُّ بن جماعة: «كلّ مَن يدّعي الحديث في الديار المصرية سواه فهو مدَّعٍ»[(٢)].

٢. قال التقي بن رافع السلامي: «ما في القاهرة مُحَدِّثٌ إلاّ هذا، والقاضي عزّ الدين ابن جماعة»، فلمَّا بلغته وفاة العزّ قال: «ما بقي الآن بالقاهرة مُحَدِّثٌ إلاّ الشيخ زين الدين العراقي»[(٣)].

---

(١) إنباء الغمر (٢/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٢) الضوء اللامع (٤/ ١٧٣).

(٣) لحظ الألحاظ (٢٢٧).

٣. قال ابن الجزري: «حافظ الديار المصرية ومُحَدِّثُها وشيخها»[١].

٤. قال ابن ناصر الدين: «الشيخ الإمام العلاّمة الأوحد، شيخ العصر حافظ الوقت ... شيخ المُحَدِّثِيْن عَلَم الناقدين عُمْدَة المخرِّجين»[٢].

٥. قال ابن قاضي شهبة: «الحافظ الكبير المفيد المتقن المحرّر الناقد، محَدِّث الديار المصرية، ذو التصانيف المفيدة»[٣].

٦. قال التقي الفاسي: «الحافظ المعتمد، ...، وكان حافظًا متقنًا عارفًا بفنون الحديث وبالفقه والعربية وغير ذلك، ...، وكان كثير الفضائل والمحاسن»[٤].

٧. وقال ابن حجر: حافظ العصر[٥]، وقال: «الحافظ الكبير شيخنا الشهير»[٦].

٨. وقال ابن تغري بردي: «الحافظ، ... شيخ الحديث بالديار المصرية، ... وانتهت إليه رئاسة علم الحديث في زمانه»[٧].

٩. وقال ابن فهد: «الإمام الأوحد، العلاّمة الحجة الحبر الناقد، عمدة الأنام حافظ الإسلام، فريد دهره، ووحيد عصره، من فاق بالحفظ والإتقان في زمانه، وشهد له في التفرّد في فنه أئمة عصره وأوانه»[٨]. وأطال النفس في الثناء عليه.

١٠. وقال السيوطي: «الحافظ الإمام الكبير الشهير، ... حافظ العصر»[٩].

ويبدو أنّ الأمر الأكثر إيضاحًا لمكانة الحافظ العراقي، نقولات شيوخه عنه وعودتهم

---

(١) غاية النهاية (١/ ٣٨٢).

(٢) الرد الوافر (١٠٧).

(٣) طبقات الشافعية (٤/ ٢٩).

(٤) ذيل التقييد (١١٤/ أ - ١١٥/ ب).

(٥) إنباء الغمر (٢/ ٢٧٥).

(٦) المجمع المؤسس (٨٩/ أ).

(٧) النجوم الزاهرة (١٣/ ٣٤).

(٨) لحظ الألحاظ (٢٢٠).

(٩) طبقات الحفاظ (٥٤٣).

إليه، والصدور عن رأيه، وكانوا يكثرون من الثناء عليه، ويصفونه بالمعرفة، من أمثال السبكي والعلائي وابن جماعة وابن كثير والإسنوي[١].

ونقل الإسنوي عنه في «المهمات» وغيرها[٢]، وترجم له في طبقاته ولم يترجم لأحد من الأحياء سواه[٣]، وصرّح ابن كثير بالإفادة منه في تخريج بعض الشيء[٤].

ومن بين الأمور التي توضّح مكانة الحافظ العراقي العلمية تلك المناصب التي تولاها، والتي لا يمكن أن تسند إليه لولا اتفاق عصريه على أولويته لها، ومن بين ذلك:

تدريسه في العديد من مدارس مصر والقاهرة مثل: دار الحديث الكاملية[٥]، والظاهرية القديمة[٦]، والقراسنقرية[٧]، وجامع ابن طولون، والفاضلية[٨]، وجاور مدةً بالحرمين.

كما أنّه تولّى قضاء المدينة المنورة، والخطابة والإمامة فيها، منذ الثاني عشر من جُمَادَى الأولى سنة (٧٨٨هـ)، حتى الثالث عشر من شوال سنة (٧٩١هـ)، فكانت المدة ثلاث سنين وخمسة أشهر.

وفي سبيل جعل شخصية الحافظ العراقي بينة للعيان من جميع جوانبها، ننقل ما زَبَّره قلم تلميذه وخِصِّيصه الحافظ ابن حجر في وصفه شيخه، إذ قال في مجمعه[٩]:

---

(١) الضوء اللامع (٤/ ١٧٣).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الضوء اللامع (٤/ ١٧٣).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٤/ ٣٢). وهي مدرسة تنسب إلى بانيها الملك الكامل محمد بن الملك العادل (ت ٦٢٢هـ). ينظر: خطط المقريزي (٣/ ٣٣٥).

(٦) الضوء اللامع (٤/ ١٧٤). ونسبتها إلى بانيها الملك الظاهر بيبرس. انظر: حسن المحاضرة (٢/ ٢٦٤).

(٧) الضوء اللامع (٤/ ١٧٤). وتنسب إلى بانيها الأمير شمس الدين قراسنقر. انظر: خطط المقريزي (٣/ ٣٥٧).

(٨) طبقات الشافعية (٤/ ٣٢). ونسبتها إلى بانيها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني. انظر: خطط المقريزي (٣/ ٣١٩)، والخطط التوفيقية (٦/ ١٢).

(٩) المجمع المؤسس (٩٠/ أ).

«كان الشيخ منور الشيبة، جميل الصورة، كثير الوقار، نزر الكلام، طارحًا للتكلف، ضيق العيش، شديد التوقي في الطهارة، لطيف المزاج، سليم الصدر، كثير الحياء، قلَّما يواجه أحدًا بما يكرهه ولو آذاه، متواضعًا منجمعًا، حسن النادرة والفكاهة، وقد لازمته مدّة فلم أره ترك قيام الليل، بل صار له كالمألوف، وإذا صلَّى الصبح استمر غالبًا في مجلسه، مستقبل القبلة، تاليًا ذاكرًا إلى أن تطلع الشمس، ويتطوع بصيام ثلاثة أيام من كلِّ شهر وستة شوال، كثير التلاوة إذا ركب ...»، ثُمَّ ختم كلامه قائلًا: «وليس العيان في ذلك كالخبر».

المبحث الخامس

شيوخه:

عرفنا فيما مضى أنَّ الحافظ العراقي منذ أن أكبَّ على علم الحديث؛ كان حريصًا على التلقي عن مشايخه، وقد وفّرت له رحلاته المتواصلة سواء إلى الحج أو إلى بلاد الشام فرصة التنويع في فنون مشايخه والإكثار منهم.

والباحث في ترجمته وترجمة شيوخه يجد نفسه أمام حقيقة لا مناص عنها، وهي أنَّ سمة الحديث كانت الطابع المميز لأولئك المشايخ، مما أدَّى بالنتيجة إلى تنّوع معارف الحافظ العراقي وتضلّعه في فنون علوم الحديث، فمنهم من كان ضليعًا بأسماء الرجال، ومنهم من كان التخريج صناعته، ومنهم من كان عارفًا بوفيات الرواة، ومنهم من كانت في لغة الحديث براعته ... وهكذا. وهذا شيء نلمسه جليًا في شرحه هذا بجميع مباحثه، وذلك من خلال استدراكاته وتعقباته وإيضاحاته والفوائد التي كان يطالعنا بها على مرِّ صفحات شرحه الحافل.

ومسألة استقصاء جميع مشايخه-هي من نافلة القول-فضلًا عن كونها شبه متعذرة سلفًا، لاسيّما أنه لم يؤلف معجمًا بأسماء مشايخه على غير عادة المحدّثين، خلافًا لقول البرهان الحلبي من أنه خرّج لنفسه معجمًا.

لذا نقتصر على أبرزهم، مع التزامنا بعدم إطالة تراجمهم:

١-الإمام الحافظ قاضي القضاة علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني، المشهور بـ «ابن التركماني» الحنفي، مولده سنة (٦٨٣هـ)، وتوفي سنة (٧٥٠هـ)، له من التآليف: «الجوهر النقي في الرد على البيهقي»، وغيره[١].

٢-الشيخ المُسْنِد المعمر صدر الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي المصري، ولد سنة (٦٦٤هـ)، وهو آخر من روى عن النجيب الحراني، وابن العلاق، وابن عزون، وتوفي سنة (٧٥٤هـ)[٢].

٣-الإمام الحافظ العلاّمة علاء الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي ثم المقدسي، ولد سنة (٦٩٤هـ)، وتوفي سنة (٧٦١هـ)، له من التصانيف: «جامع التحصيل»، و «الوشي المعلم»، و «نظم الفرائد» وغيرها[٣].

٤-الإمام الحافظ العلاّمة علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي بن قُليج بن عبد الله البكجري الحكري الحنفي، مولده سنة (٦٨٩هـ)، وقيل غيرها، برع في فنون الحديث، وتوفي سنة (٧٦٢هـ)، من تصانيفه: ترتيب كتاب بيان الوهم والإيهام وسمّاه: «منارة الإسلام»، ورتّب المبهمات على أبواب الفقه، وله شرح على صحيح البخاري، وتعقّبات على المزي، وغيرها[٤].

٥-الإمام العلاّمة جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، شيخ الشافعية، ولد سنة (٧٠٤هـ)، وتوفي سنة (٧٧٧هـ)، له من التصانيف: طبقات الشافعية، والمهمات، والتنقيح وغيرها[٥].

---

(١) انظر ترجمته في: الجواهر المضية (١/ ٣٦٦)، والدرر الكامنة (٣/ ٦)، ولحظ الألحاظ (١٢٥).

(٢) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة (٤/ ٢٧٤)، والنجوم الزاهرة (٢٩١).

(٣) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٠٤)، وطبقات الإسنوي (٢/ ٢٣٩)، والدارس (١/ ٥٩).

(٤) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة (٤/ ٣٥٢)، ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (١٣٣)، طبقات الحفاظ (٥٣٨).

(٥) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ١٩٨)، والدرر الكامنة (٢/ ٤٦٣)، وحسن المحاضرة (١/ ٤٢٩).

المبحث السادس

تلامذته:

تبين مما تقدّم أنّ الحافظ العراقي بعد أن تبوأ مكان الصدارة في الحديث وعلومه وأصبح المعوّل عليه في فنونه بدأت أفواج طلاب الحديث تتقاطر نحوه، ووفود الناهلين من معينه تتجه صوبه، لاسيّما وقد أقرَّ له الجميع بالتفرد بالمعرفة في هذا الباب، لذا كانت فرصة التتلمذ له شيئًا يعدّه الناس من المفاخر، والطلبة من الحسنات التي لا تجود بها الأيام دومًا.

والأمر الآخر الذي يستدعي كثرة طلبة الحافظ العراقي كثرة مفرطة، أنه أحيا سنة إملاء الحديث -على عادة المحدّثين[(١)]- بعد أن كان درس عهدها منذ عهد ابن الصلاح فأملى مجالس أربت على الأربعمائة مجلس، أتى فيها بفوائد ومستجدات «وكان يمليها من حفظه متقنة مهذّبة محرّرة كثيرة الفوائد الحديثية» على حد تعبير ابن حجر[(٢)].

لذا فليس من المستغرب أن يبلغوا كثرة كاثرة يكاد يستعصي على الباحث سردها، إن لم نقل أنها استعصت فعلًا، فضلًا عن ذكر تراجمهم، ولكن القاعدة تقول: «ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه» وانسجامًا معها نعرّف تعريفًا موجزًا بخمسة من تلامذته كانوا بحقّ مفخرة أيامهم وهم:

١-الإمام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن أيوب الأبناسي، مولده سنة (٧٢٥هـ)، وهو من أقران العراقي، برع في الفقه، وله مشاركة في باقي الفنون، توفي سنة (٨٠٢هـ)، من تصانيفه: الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، وغيره[(٣)].

٢-الإمام الحافظ نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري، ولد سنة (٧٣٥هـ)، وهو في عداد أقرانه أيضًا، ولكنه اختص به وسمع معه، وتخرّج به، وهو

---

(١) انظر: (٢/ ٢٦) البيت (٦٩٩) من هذا الكتاب (ص٤٥٤).

(٢) المجمع المؤسس (٢٠٠/ أ).

(٣) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/ ٥)، وإنباء الغمر (٢/ ١١٢).

الذي كان يعلّمه كيفية التخريج، ويقترح عليه مواضيعها، ولازم الهيثمي خدمته ومصاحبته، وصاهره فتزوج ابنة الحافظ العراقي، توفي سنة (٨٠٧هـ)، من تصانيفه: مجمع الزوائد، وبغية الباحث، والمقصد العلي، وكشف الأستار، ومجمع البحرين، وموارد الظمآن، وغيرها[١].

٣-ولده: الإمام العلاّمة الحافظ ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العراقي الأصل المصري الشافعي المذهب، ولد سنة (٧٦٢هـ)، وبكّر به والده بالسماع فأدرك العوالي، وانتفع بأبيه غاية الانتفاع، ودرّس في حياته، توفي سنة (٨٢٦هـ)، من تصانيفه: «الإطراف بأوهام الأطراف» و «تكملة طرح التثريب» و«تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل»، وغيرها[٢].

٤-الإمام الحافظ برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي المشهور بسبط ابن العجمي، مولده سنة (٧٥٣هـ)، رحل وطلب وحصّل، وله كلام لطيف على الرجال، توفي سنة (٨٤١هـ)، من تصانيفه: «حاشية على الكاشف» للذهبي و «نثل الهميان»[٣] و«التبيين في أسماء المدلّسين» و «الاغتباط فيمن رمي بالاختلاط» وغيرها[٤].

٥-الإمام العلاّمة الحافظ الأوحد شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، ولد سنة (٧٧٣هـ)، طلب ورحل، وألقي إليه الحديث والعلم بمقاليده، والتفرد بفنونه، توفي سنة (٨٥٢هـ)، من تصانيفه: «فتح الباري» و «تهذيب التهذيب» وتقريبه و«نزهة الألباب»، وغيرها[٥].

---

(١) انظر في ترجمته: إنباء الغمر (٢/ ٣٠٩)، ولحظ الألحاظ (٢٣٩)، والضوء اللامع (٥/ ٢٠٠)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٦٢).

(٢) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/ ٨٠)، ولحظ الألحاظ (٢٨٤)، والضوء اللامع (١/ ٣٣٦)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٦٣).

(٣) وفي خزانتنا نسخة منه بخط مؤلفها مصورة عن دار الكتب المصرية برقم (٢٣٣٤٦ب).

(٤) انظر ترجمته في: لحظ الألحاظ (٣٠٨)، وذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي (٣٧٩)، وشذرات الذهب (٧/ ٢٣٧).

(٥) انظر ترجمته في: لحظ الألحاظ (٣٢٦)، والضوء اللامع (٢/ ٣٦)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٦٣).

المبحث السابع

آثاره العلمية:

لقد عرف الحافظ العراقي أهمية الوقت في حياة المسلم، لذا فقد عمل جاهدًا على توظيف الوقت بما يخدم السنة العزيزة، بحثًا منه أو مباحثة مع غيره فكانت «غالب أوقاته في تصنيف أو إسماع» كما يقول السخاوي[١]، لذا كثرت تصانيفه وتنوعت، مما حدا بنا -من أجل جعل البحث أكثر تخصصًا- إلى تقسيمها على قسمين: قسم خاصّ بمؤلفاته التي تتعلق بالحديث وعلومه، وقسم يتضمن مؤلفاته في العلوم الأخرى، وسنبحث كلًا منهما في مطلب مستقل.

المطلب الأول

مؤلفاته فيما عدا الحديث وعلومه:

تنوعت طبيعة هذه المؤلفات ما بين الفقه وأصوله وعلوم القرآن، غير أنَّ أغلبها كان ذا طابع فقهي، يمتاز الحافظ فيه بالتحقيق، وبروز شخصيته مدافعًا مرجّحًا موازنًا بين الآراء.

على أنَّ الأمر الذي نأسف عليه هو أنَّ أكثر مصنفاته فُقدت، ولسنا نعلم سبب ذلك، وقد حفظ لنا مَنْ ترجم له بعض أسماء كتبه، تعين الباحث على امتلاك رؤية أكثر وضوحًا لشخص هذا الحافظ الجليل، وإلمامًا بجوانب ثقافته المتنوعة المواضيع.

ومن بين تلك الكتب:

١- أجوبة ابن العربي[٢].

٢- إحياء القلب الميت بدخول البيت[٣].

---

(١) الضوء اللامع (٤/ ١٧٥).

(٢) لحظ الألحاظ (٢٣١)، ولا نعلم شيئًا أكثر من هذا عنه.

(٣) لحظ الألحاظ (٢٣١)، وذكره الحسيني محقق شرح التبصرة (١/ ١٨) باسم: «إحياء القلب الميت بأحكام دخول البيت»، وذكر أنه اطلع عليه في مجموع بالمكتبة الكتانية برقم (٣٨٥٤).

٣- الاستعاذة بالواحد من إقامة جمعتين في مكان واحد[١].

٤- أسماء الله الحسنى[٢].

٥- ألفية في غريب القرآن[٣].

٦- تتمات المهمات[٤].

٧- تاريخ تحريم الربا[٥].

٨- التحرير في أصول الفقه[٦].

٩- ترجمة الإسنوي[٧].

١٠- تفضيل زمزم على كلّ ماء قليل زمزم[٨].

١١- الرد على من انتقد أبياتًا للصرصري في المدح النبوي[٩].

١٢- العدد المعتبر في الأوجه التي بين السور[١٠].

---

(١) له نسخة خطية فريدة كتبت سنة (٩٠٠هـ) محفوظة في مكتبة رضا برامبور برقم (M ٥٦٤٢ - ٢٦٨٤). انظر: الفهرس الشامل (الفقه وأصوله) (١/ ٣٩٥).

(٢) ذكره الحسيني محقق شرح التبصرة (١/ ١٨)، وذكر أنه اطلع عليه في مجموع بالمكتبة الكتانية برقم (٣٨٥٤).

(٣) ذكره صاحب معجم المطبوعات العربية (١/ ٩٠١، ٢/ ١٢١٨)، أنها طبعت بهامش تفسير أبي محمد عبد العزيز المسمى: «التيسير في علم التفسير» ورد عليه الحسيني محقق شرح التبصرة (١/ ١٦): بأن المطبوعة هي لولده، ولا نعلم أحدًا ذكر مثل هذا لأبي زرعة ولد العراقي.

(٤) الضوء اللامع (٤/ ١٧٣)، وكشف الظنون (١/ ٩٣٠) و(٢/ ١٩١٥) باسم: «مهمات المهمات».

(٥) المجمع المؤسس (٨٩/ ب).

(٦) الأعلام (٣/ ١١٩).

(٧) الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٥)، ولحظ الألحاظ (٢٣١).

(٨) لحظ الألحاظ (٢٣١).

(٩) مقدمة محقق شرح التبصرة (١/ ١٨)، وذكر أنه اطلع عليه في مجموع بالمكتبة الكتانية (٣٨٥٤).

(١٠) إيضاح المكنون (٢/ ٩٦)، هدية العارفين (١/ ٥٦٢).

١٣- فضل غار حراء[١].

١٤- القرب في محبة العرب[٢].

١٥- قرة العين بوفاء الدين[٣].

١٦- الكلام على مسألة السجود لترك الصلاة[٤].

١٧- مسألة الشرب قائمًا[٥].

١٨- مسألة قصّ الشارب[٦].

١٩- منظومة في الضوء المستحب[٧].

٢٠- المورد الهني في المولد السني[٨].

٢١- النجم الوهاج في نظم المنهاج[٩].

٢٢- نظم السيرة النبوية[١٠].

٢٣- النكت على منهاج البيضاوي[١١].

٢٤- هل يوزن في الميزان أعمال الأولياء والأنبياء أم لا ؟[١٢].

---

(١) لحظ الألحاظ (٢٣١).

(٢) طبع أكثر من مرة.

(٣) لحظ الألحاظ (٢٣١).

(٤) لحظ الألحاظ: (٢٣١).

(٥) لحظ الألحاظ (٢٣١).

(٦) لحظ الألحاظ (٢٣١).

(٧) كشف الظنون (٢/ ١٨٦٧). وقارن بفهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية (فقه شافعي) (٢٦٢-٢٦٣).

(٨) لحظ الألحاظ (٢٣١).

(٩) المجمع المؤسس (٨٩/ ب).

(١٠) ذكرها غير واحد، وفي خزانة مخطوطاتنا نسخة من شرحها لتلميذه سبط ابن العجمي، وأخرى من شرح المناوي.

(١١) الأعلام (٣/ ١١٩).

(١٢) مقدمة محقق شرح التبصرة (١/ ١٨)، وذكر أنه اطلع عليه في مجموع بالمكتبة الكتانية (٣٨٥٤).

المطلب الثاني

مؤلفاته في الحديث وعلومه:

هذه الناحية من التصنيف كانت المجال الرحب أمام الحافظ العراقي ليظهر إمكاناته وبراعته في علوم الحديث ظهورًا بارزًا، يَتَجلَّى لنا ذلك من تنوع هذه التصانيف، التي بلغت (٤٢) مصنفًا تتراوح حجمًا ما بين مجلدات إلى أوراق معدودة، وهذه التصانيف هي:

١-الأحاديث المخرّجة في الصحيحين التي تُكُلِّمَ فيها بضعف أو انقطاع[١].

٢-الأربعون البلدانية[٢].

٣-أطراف صحيح ابن حبان[٣].

٤-الأمالي[٤].

٥-الباعث على الخلاص من حوادث القصاص[٥].

٦-بيان ما ليس بموضوع من الأحاديث[٦].

٧-تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي[٧].

٨-ترتيب من له ذكر أو تجريح أو تعديل في بيان الوهم والإيهام[٨].

---

(١) ذكره العراقي نفسه في شرحه هذا (١/ ١٣٧)، وفي التقييد والإيضاح (٣٣)، وقد أشار البقاعي في نكته (٤٨/ أ): إلى أنه لم يبيض، وأن مسودته عدمت.

(٢) لحظ الألحاظ (٢٢٥).

(٣) لحظ الألحاظ (٢٣٢).

(٤) توجد بعض المجالس منها بظاهرية دمشق برقم (مجموع ٥١) وحديث (٣٥٩). انظر: الفهرس الشامل (١/ ٢٤٢).

(٥) وهو مطبوع.

(٦) ذكره السخاوي في فتح المغيث (١/ ٢٥٦)، ومنه نسخة في مكتبة السيد صبحي السامرائي.

(٧) وهو متن هذا الكتاب، وقد اشتهر باسم: «ألفية الحديث». وسيطبع إن شاء الله مفردًا بتحقيقنا، وشرحه هو الكتاب الذي بين يديك.

(٨) لحظ الألحاظ (٢٣٢).

٩-تخريج أحاديث منهاج البيضاوي[١].

١٠- تساعيات الميدومي[٢].

١١- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد[٣].

١٢- التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح[٤].

١٣- تكملة شرح الترمذي لابن سيد الناس[٥].

١٤- جامع التحصيل في معرفة رواة المراسيل[٦].

١٥- ذيل على ذيل العبر للذهبي[٧].

١٦- ذيل على كتاب أُسد الغابة[٨].

١٧- ذيل مشيخة البياني[٩].

١٨- ذيل مشيخة القلانسي[١٠].

١٩-ذيل ميزان الاعتدال للذهبي[١١].

---

(١) توجد منه أربع نسخ خطية. الفهرس الشامل (١/ ٣٥١).

(٢) منه نسختان خطيتان. الفهرس الشامل (١/ ١٠١، ٣٧٥).

(٣) وهو متن كتابه الآتي «طرح التثريب»، ولهذا المتن عدة نسخ خطية. المعجم الشامل (١/ ٣٩٣).

(٤) طبع طبعة هِيَ إلى السقم أقرب، ونحن في طريقنا إلى طبعه محققًا تحقيقًا يليق بمكانة المؤلف ونفاسة الكتاب.

(٥) وله عدة نسخ خطية. الفهرس الشامل (١/ ٤٠٢).

(٦) منه نسخة خطية في مكتبة راغب باشا برقم (٢٣٦). انظر: الفهرس الشامل (١/ ٦٥٨) ولعل هذا الكتاب هو نفسه الذي ذكره ابن فهد باسم «الإنصاف» وهو نفسه الذي ذكره حاجي خليفة باسم «ذيل العراقي على هوامش كتاب العلائي جامع التحصيل». انظر: لحظ الألحاظ (٢٣١)، وكشف الظنون (١/ ٨٩).

(٧) ذكره ولده أبو زرعة في ذيله على العبر (١/ ٤٩).

(٨) انظر: (٣/ ٦) من هذا الكتاب.

(٩) الدرر الكامنة (٣/ ٢٩٥)، والنجوم الزاهرة (١١/ ٨٩)، وكشف الظنون (٢/ ١٦٩٦).

(١٠) الدرر الكامنة (٤/ ٢٣٥).

(١١) طبع بتحقيق السيد صبحي السامرائي عن مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٠- ذيل على وفيات ابن أيبك[١].

٢١- رجال سنن الدارقطني[٢].

٢٢- رجال صحيح ابن حبان[٣].

٢٣- شرح التبصرة والتذكرة[٤].

٢٤- شرح تقريب النووي[٥].

٢٥- طرح التثريب في شرح التقريب[٦].

٢٦- عوالي ابن الشيخة[٧].

٢٧- عشاريات العراقي[٨].

٢٨- فهرست مرويات البياني[٩].

٢٩- الكلام على الأحاديث التي تُكُلِّمَ فيها بالوضع، وهي في مسند الإمام أحمد[١٠].

٣٠-الكلام على حديث: التوسعة على العيال يوم عاشوراء[١١].

---

(١) انظر: (٣/ ٢٤٠) من هذا الكتاب.

(٢) لحظ الألحاظ (٢٣٣)، وأشار فيه إلى عدم تمامه.

(٣) لحظ الألحاظ (٢٣٢)، وأشار فيه إلى أنه لم يتم.

(٤) وهو كتابنا هذا.

(٥) كشف الظنون (١/ ٤٦٥).

(٦) طبع قديمًا؛ لكن الذي يجب ملاحظته أن قسمًا من الشرح أتمه ولده الحافظ ولي الدين أبو زرعة.

(٧) كشف الظنون (٢/ ١١٧٨).

(٨) منه نسختان خطيتان. انظر: الفهرس الشامل (١/ ١٠٤)، وذكرها ابن حجر في المجمع المؤسس (٨٩ / ب)، وغيره.

(٩) الدرر الكامنة (٣/ ٢٩٥).

(١٠) التقييد والإيضاح (٥٧)، وتعجيل المنفعة (٦)، والقول المسدد (٦). وتوجد في مكتبة رضا برامبور [١٩٨٥ (٨٧٤)] رسالة للحافظ العراقي باسم «رسالة في نقد مسند أحمد» وغالب ظننا أنها هي هذا الكتاب نفسه، ولم نطلع عليها لنجزم بذلك.

(١١) لحظ الألحاظ (٢٣١)، والمقاصد الحسنة (٤٣١)، واللالئ المصنوعة (٢/ ١١٢).

٣١- الكلام على حديث: صوم ستٍّ من شوال[١].

٣٢- الكلام على حديث: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه[٢].

٣٣- الكلام على حديث: الموت كفّارة لكل مسلم[٣].

٣٤- الكلام على الحديث الوارد في أقل الحيض وأكثره[٤].

٣٥- المستخرج على مستدرك الحاكم[٥].

٣٦- معجم مشتمل على تراجم جماعة من القرن الثامن[٦].

٣٧- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بتخريج ما في الإحياء من الأحاديث والآثار[٧].

٣٨- مشيخة عبد الرحمن بن علي المصري المشهور بابن القارئ[٨].

٣٩- مشيخة محمد بن محمد المربعي التونسي وذيلها[٩].

٤٠- من روى عن عمرو بن شعيب من التابعين[١٠].

٤١- من لم يروِ عنهم إلا واحد[١١].

٤٢- نظم الاقتراح[١٢].

---

(١) لحظ الألحاظ (٢٣١).

(٢) لحظ الألحاظ (٢٣١).

(٣) المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٨٣) بهامش الإحياء، ولحظ الألحاظ (٢٣١).

(٤) لحظ الألحاظ (٢٣٢).

(٥) المجمع المؤسس (٨٩/ ب)، لحظ الألحاظ (٢٣٣)، الضوء اللامع (٤/ ١٧٤).

(٦) لحظ الألحاظ (٢٣٢).

(٧) طبع بهامش إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، وطبعة أخرى مع تخريجات السبكي والزبيدي بعناية محمود الحداد.

(٨) إنباء الغمر (١/ ٨٦).

(٩) الدرر الكامنة (٤/ ٢٤٧).

(١٠) انظر (٣/ ٧٥) من هذا الكتاب.

(١١) تدريب الراوي (١/ ٣١٩).

(١٢) منه نسخة خطية في مكتبة لاله لي برقم (٣٩٢ «WEISW»).

المبحث الثامن

وفاته:

تتفق المصادر التي بين أيدينا على أنَّه في يوم الأربعاء الثامن من شعبان سنة (٨٠٦هـ) فاضت روح الحافظ العراقي عقيب خروجه من الحمام عن عمر ناهز الإحدى وثمانين سنة، وكانت جنازته مشهودة، صلّى عليه الشيخ شهاب الدين الذهبي ودفن خارج القاهرة[١] رحمه الله.

ولما تمتع به الحافظ العراقي في نفوس الناس، فقد توجع لفقده الجميع، ومن صور ذلك التوجع أن العديد من محبيه قد رثاه بغرر القصائد، ومنها قول ابن الجزري[٢]:

رحمة الله للعراقي تترى ... حافظ الأرض حبرها باتفاق

إنني مقسم أليَّة صدق ... لم يكن في البلاد مثل العراقي

ومنها قصيدة ابن حجر ومطلعها[٣]:

مصاب لم ينفس للخناق ... أصار الدمع جارًا للمآقي

ومن غرر شعر ابن حجر في رثاء شيخه العراقي قوله في رائيته التي رثا بها شيخه البلقيني:

نعم ويا طول حزني ما حييت على ... عبد الرحيم فخري غير مقتصر[٤]

لَهْفِيْ على حافظ العصر الذي اشتهرت ... أعلامه كاشتهار الشمس في الظهر

علم الحديث انقضى لَمَّا قضى ومضى ... والدهر يفجع بعد العين بالأثر

لَهْفِيْ على فَقْدِ شيخَيَّ اللذان هما ... أعزّ عنديَ من سمعي ومن بصري

---

(١) غاية النهاية (١/ ٣٨٢)، إنباء الغمر (٢/ ٢٧٧)، لحظ الألحاظ (٢٣٥)، الضوء اللامع (٤/ ١٧٧)، حسن المحاضرة (١/ ٣٦٠)، البدر الطالع (١/ ٣٥٦).

(٢) الضوء اللامع (٤/ ١٧٦).

(٣) انظر القصيدة كاملة في إنباء الغمر (٢/ ٢٧٨).

(٤) هكذا البيت في الأصل، وَهُوَ غَيْر مستقيم الوزن.

لَـهْفِيْ عـلى مـن حـديثي عـن كمالهـما ... يحيـي الـرميم ويلهـي الحـي عـن سـمر
اثنـانِ لم يرتـقِ النـسران مـا ارتقيـا ... نـسر الـسما إن يلـح والأرض إن يطـر
ذا شـبه فـرخ عقـاب حجـة صـدقت ... وذا جهينـة إن يـسأل عـن الخـبر
لا ينقـضي عجبـي مـن وفـق عمرهمـا ... العـام كالعـام حتـى الـشهر كالـشهر
عاشـا ثمانـين عامـا بعـدها سـنة ... وربـع عـام سـوى نقـص لمعتـبر
الـدين تتبعـه الـدنيا مـضت بهـما ... رزيـة لم تهـن يومـا عـلى بـشر
بالـشمس وهـو سراج الـدين يتبعـه ... بـدر الـدياجي زيـن الـدين في الأثـر[1]

(١) انظر القصيدة كاملة في: حسن المحاضرة (١/ ٣٣٠-٣٣٥).

obeikandl.com

الفصل الثاني

دراسة كتاب شرح التبصرة والتذكرة

المبحث الأول

منهجه في شرحه

لم يلتزم المؤلفون القدامى -لاسيّما الشرّاح منهم- بنهج واحد يسيرون عليه في أثناء شروحهم، بل كانت ثمّة خطوط عريضة يضعها الشارح نصب عينيه، من غير التفات إلى الجزئيات، ومما يزيد الطين بلّة -كما يقولون- أن السواد الأعظم منهم لم يفصحوا عن مناهجهم، وتركوا الباب مشرعًا على مصراعيه للباحثين في الإدلاء بدلائهم لاستنباط منهج الشارح.

وقد كان من بين هؤلاء: الحافظ العراقي، فلم يوضّح لنا منهج شرحه، ولا أسلوب كتابته إلا أننا وبعد هذا الوقت الطويل الذي قضيناه برفقته استطعنا أن نتلمس بعض الأسس التي اعتمدها الحافظ العراقي في شرحه، والتي يمكن إيجازها بما يأتي:

١- تعددت شروح الألفية -كما سيأتي الكلام عنها- ولكن جميعها التزمت منهج البسط وهو الكلام عن البيت الشعري مقطّعًا؛ وذلك من خلال إيضاح معاني مفرداته ومن ثم معناه العام. في حين انفرد العراقي في شرحه بأن كانت طريقته تمتاز بجمع الأبيات ذات الموضوع والمغزى المتحد في مكان واحد، ومن ثَمَّ توضيح المراد بها من حيث المعنى والدلالة اللغوية والإعرابية. وهذا نهج مستفيض في أثناء شرحه -يلحظه كلّ متأنٍ- فليس بحاجة إلى تمثيل.

٢- بروز المنحى القائم على إيراد الأمثلة، إذ لا يكاد يورد شرحًا إلا مع التمثيل كتمثيله للتعليق المجزوم به، وتمثيله لتسمية غير المجزوم به معلقًا، وغيرها.

٣- التنبيه على المواقع الإعرابية التي تحتلها بعض مفردات النظم، وتغيُّر موقعها الإعرابي بتغيُّر حركتها، نحو: إعرابه لكلمة: «معتصمًا»، وكلمة: «موقوف»، وكلمة: «ظنًا»، وغيرها.

٤- جمعه أقوال العلماء وإيرادات بعضهم على بعض، وأجوبة تلك الاعتراضات، وتوظيفها بما يخدم منهجه في الشرح؛ بغية التوصل إلى نتيجة أقرب ما تكون إلى السلامة من الانتقاد، مدعمة بالأدلة، مقنعة للمحاجج.

ونجد ذلك واضحًا في مباحث تعريف الحسن. وفي مبحث تحقيق ما يستفاد من سكوت أبي داود وفي مباحث معنى قول الترمذي وغيره: حسن صحيح، وفي مباحثات تعليل حديث البسملة، وغيرها.

٥- لم يكن نظم الحافظ العراقي وشرحه مجرد تضمين لكتاب ابن الصلاح، خاليًا عن الفوائد، بل كان خلاصة جهود ابن الصلاح مضافًا إليها ما أفاده العراقي خلال رحلته العلمية الممتدّة على طول سني حياته. لذا فلم يخلُ هذا المصنَّف من استدراكات وتعقبات على صاحب الأصل (ابن الصلاح) هذا خلا زوائده التي سنبحثها مستقلة فيما بعد، ومن ذلك: استدراكه على ابن الصلاح فيما يتعلق بزيادات الحميدي على الصحيحين، واستدراكه على تمثيل ابن الصلاح بعفان والقعنبي على ما حذف من مبتدأ إسناده واحد أو أكثر. واستدراكه عليه في ذكر الخلاف في مرسل الصحابي. وغيرها.

٦- تعقباته على أقوال وتصرفات بعض الأئمة تأييدًا أو استدراكًا، مثل: ردّه على قول ابن طاهر في شرط الشيخين. وردّه على صنيع ابن دقيق العيد والذهبي فيما يتعلق بـ«المستدرك». ومثل تنبيهه على أن أبا الفتح اليعمري لا يشترط في كل حسن أن يأتي من وجه آخر. وغيرها.

٧- تنبيهه على ضبط بعض المفردات الواردة في نَظْمِه، لإصابة الغرض المقصود منه، مثل ضبطه للفظة: «مبهمًا»، وضبطه للفظة: «معتصمًا»، وغيرهما.

٨- بدا منهج الشرح اللغوي للمفردات واضحًا، مثل بيانه لمعاني: المرحمة، والرسم، والجفلى، وغيرها.

٩- بيانه بعض قيود ومحترزات بعض التعريفات التي يرى إمكان الإيراد عليه عند مَن لم يفهم الخارج بتلك المحترزات.

١٠- فيما يختص بالنصوص التي ينقلها، كان له إزاءها منهجان:

الأول: التدليل على انتهائه بقوله: انتهى بعد النص، وهذا القسم أقل من الثاني وقد لجأ إليه الحافظ في أثناء مناقشاته، أو عندما يروم تعقب ذلك القول، أو غير ذلك من الأسباب، والدواعي الحاملة له على هذا الصنيع.

الثاني: عدم تدليله على انتهاء النص -وهو الأكثر- وذلك إما لكون النص ظاهر الانتهاء، أو لكونه أورده باختزال أو غير ذلك.

١١- فيما يتعلق بحرفية النص المنقول، لم يلتزم العراقي كثيرًا من الأحيان بحرفيته، فكان كثير التصرف حذفًا وإضافةً، وقد أشرنا إلى بعض ذلك وأغفلنا الكثير لما رأينا الأمر قد تفاقم خشية إثقال الحواشي.

١٢- كان طابع النقاش العلمي آنذاك يمتاز بعرض النتيجة ومن ثم ملاحظة الاعتراضات عليها والتي تسمى إيرادات أو اعتراضات، ومما يشيد تلك النتيجة أن يجاب عن اعتراضاتها المتوقعة مسبقًا، وهذا ما انتهجه العراقي في شرحه.

١٣- توضيحه لمصادر كلام بعض العلماء، مثل بيانه لمصدر تحديد النووي لمعنى مصطلح: على شرط الشيخين. ومثل بيانه لمصدر كلام ابن الصلاح في تصحيح حديث «**لولا أن أشق** ...» من طريق محمد بن عمرو.

١٤- كان الحافظ العراقي حريصًا على إفادة القارئ: وبما أنه التزم أن يكون شرحه مختصرًا؛ لذا كان من منهجه أن يحيل إلى كتبه الأخرى في المواطن التي تحتاج إلى إسهاب ولا يحتمل المقام ذلك.

١٥- نقل أقوال الأئمة التي تعضد ما يروم التدليل عليه، وتوظيفها بمثابة ركائز تعزّز مراده.

١٦- وضع العراقي الأمانة العلمية نصب عينيه، فكان حريصًا على نسبة كل قول وفائدة إلى صاحبها إيمانًا منه بأن بركة العلم نسبته إلى أهله، إلا أنه خالف هذا النهج في موطن واحد فقط نقل فيه بضعة عشر نصًا عن جامع الخطيب حذف أسانيد الخطيب منها وساقها

تباعًا من غير نسبة إليه وكان هذا من الحافظ العراقي لسببين اثنين:

الأول: طول أسانيد الخطيب -لاسيما مع بضعة عشر نصًا- والتزامه الاختصار غير المخل في شرحه.

الثاني: أنه لم يغفل قرينة تدل على عدم كون النص له، وهي قوله قبل سياقته النص: «روينا» وهذا إمعان منه في العمل بمقتضى أمانته العلمية.

١٧- فهمه دقائق وإشارات كلام ابن الصلاح، فهمًا منقطع النظير. وعليه يصدق قول الشاعر:

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوْهَا فَإِنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

١٨- لقد كانت لزوائد الحافظ العراقي على ابن الصلاح أهمية علمية كبيرة، تمخضت عنها دراسات حاولت الكشف عن جدية تلك الزوائد، وبذلك أسهمت في إثراء المكتبة العلمية بمؤلفات، ومن ثم وفّرت مادة بحث جديدة للدارسين انصبت اهتماماتهم حولها، أو ضمنها من جاء بعده في مؤلفاتهم طلبًا للكمال وسدًّا للإعواز.

ولم تكن تلك الزيادات شيئًا نادرًا أو قليلًا ليستهان بها، وإنما كانت من الكثرة الكاثرة بمكان، ويكفيك لتعلم غزارة هذه الزوائد أننا في الجزء الأول فقط أحصينا له قرابة خمسين موطنًا ما بين زيادة واستدراك وتعقب على ابن الصلاح.

١٩- كان من منهج الحافظ العراقي أنه لم يترك الأمور على علاتها من غير ترجيح وإنما كان ذا شخصية فذة بارزة في شرحه، يصحّح ويختار ويرجح في ضوء اجتهاده، غير ملتفت إلى مخالفة ابن الصلاح أو موافقته.

٢٠-لم يلتزم الحافظ العراقي في نظمه ومن ثم شرحه ترتيب ابن الصلاح، لاسيّما أن ابن الصلاح لم يخرج كتابه دفعة واحدة، وإنما أملاه شيئًا فشيئًا فخرج على غير الترتيب المقصود.

لذا حاول العراقي أن يرتّب مباحث الكتاب على وضع مناسب حسب اجتهاده فقدّم وأخّر، وهذّب وعدّل، ومن ذلك:

أ- أنه قدّم موضوع «أول من صنف في الصحيح» على موضوع «تصحيح الأحاديث في

العصور المتأخّرة».

ب- دمج بين المنقطع والمسند والمعضل، بخلاف ابن الصلاح الذي فرّق بينها في كتابه.

ج- قدّم قول البرذعي في مبحث المقطوع، في حين ذكره ابن الصلاح في نهاية المنقطع.

المبحث الثاني

مصادره في شرحه:

لقد بات من مسلمات الأمور في طبيعة أي بحث علمي أن تتناسب القيمة العلمية مع مصادر ذلك البحث تناسبًا طرديًا، وغير خافٍ على القراء أن إغناء جوانب البحث العلمي بكثرة مراجعة المصادر يعدّ دعامة قوية تعزز النتائج والنظريات التي يقدّمها أي باحث.

ولسنا نشك أن هذا الأمر كان من أبرز جوانب شرح الحافظ العراقي، فقد لملم شعث الفوائد من بطون الكتب، وجمع غرر العوائد من ملاحظة تصرفات النقاد وحفاظ الأثر، لذا فقد أغنى في نظرنا شرحه غناءً مفرطًا بكثرة مصادره، سواء تلك الأصلية في مجال كتابته أو التي احتاجها بصورة عرضية، الأمر الذي دعانا -في سبيل إثبات ذلك- إلى إحصاء جميع تلك المصادر وقد امتاز منهجه في ذكر مصادره بمميزات منها:

أ- أنه كان كثير التصرف في نقله النصوص لا يلتزم حرفية فيه.

ب- أنه كان كثير التجوّز في إطلاق أسماء المؤلفات، فمثلًا يسمي كتاب شيخه العلائي «جامع التحصيل» ثم لا يلبث بعد صفحة واحدة أن يسميه «المراسيل» وهكذا في عشرات الكتب، وقد ارتأينا جمعها تحت مسمًى واحد، هو اسم الشهرة لذلك المصنَّف، مراعين مقصد الحافظ في ذلك.

جـ- أنه لم يسر على نمط واحد في شرحه بشأن العزو إلى تلك المصادر، وإنما كانت له ثلاث طرق:

الأولى: أن يذكر اسم العالم الذي ينقل عنه فقط، من غير ذكر لاسم كتابه أو الواسطة التي نقل عنه بها.

الثانية: قد يذكر اسم المؤلف مقرونًا بذكر اسم مصنفه.

الثالثة: أن يذكر اسم الكتاب فقط، وهو أقل هذه الأقسام.

المبحث الثالث

دراسة عروضية لنظم ألفية الحافظ العراقي[1]:

نظم الحافظ العراقي ألفيته هذه على بحر الرجز ووزنه:

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

وهو بحرٌ كثيرةٌ أوزانُهُ، متعددةٌ ضروبُهُ، واسعةٌ زحافاتُهُ وهو عَذبُ الوزن واضحه؛ إذ هو من البحور ذات التفعيلة الواحدة، مكرَّرُها كما أن في كثرة زحافاته مجالًا لإرادة التصرف في الكلام، وسعةً في إقامة الجمل؛ إذ ليس بمستطاعٍ لشاعر الإتيان بثلاثة مقاطع قصيرة متتابعة في غير (مُتَعِلُنْ ب ب ب-) إحدى أشكال تفعيلة الرجز (مستفعلن - - ب -)، فضلًا عن أشكال (مُسْتَفْعِلُنْ) الأخرى مثل: (متفعلن ب - ب -) و (مُسْتَعِلنْ - ب ب -) و (مُسْتَفْعِلْ - - -) ... الخ.

وهذا من غير شكّ تارك للناظم الفرصة واسعة في النَّظْم والتصرف في التعبير بحسب متطلبات المعنى، ولمَّا كان النظم في المتون العلمية في مسيس الحاجة لهكذا سعة في الجوازات، رُئِي أكثرها منظومًا على هذا البحر هذا الأمر الذي أفاد منه الحافظ العراقي في نظمه للتبصرة فجاءت على هذا البحر بكل أشكاله وتفعيلاته بل لا يكاد بيت يشبه سابقًا له أو لاحقًا في

---

(١) لم نشأ كتابة دراسة مقارنة بين ألفية العراقي وألفية السيوطي خشية تضخم الكتاب لا سيما أن هذا يحتاج إلى دراسة عروضية لألفية السيوطي، ومن ثم دراسة لزيادات السيوطي -التي قام الشيخ أحمد شاكر بتمييزها في طبعته- دراسة ضافية، تبدي قيمتها ومدى أصالتها.

وقد حاول الأستاذ أنيس أحمد الأندونوسي عقد مقارنة بينهما في دراسته لشرح السيوطي على ألفيته المسمى «البحر الذي زخر» بيد أن محاولته كانت غير موفقة البتة وهذه حال دراسته التي شغل بها (٢٢١) صفحة تجد فيها كل شيء إلا العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العليم.

وزن أو ضرب لكثرة ما أفاده من هذا التعدد في أشكال البحر، فقد جاء ضرب البيت الأول (مُسْـتَعِلُنْ - ب ب -)، والثاني (مَفْعُوْلُنْ - - -)، والثالث (مُتَفْعِلُنْ ب - ب -)، والرابع (فعولن ب - -)، والخامس (مُسْتَفْعِلُنْ - - ب -) وهكذا دواليك، هذه الإفادة من الحافظ تركت له الفرصة واسعة للتعبير على حساب الجمال الصوتي والتناسب بين الأبيات، فقد جاءت بعض الانتقالات بين هذا الشكل أو ذاك قوية ثقيلة تركت تباينًا صوتيًا واضحًا في أذن المستمع، وإن كان مثل هذا مغتفرًا في المتون العلمية، إذ ليس من وَكْدِ الناظم فيها جمال الإيقاع بقدر تحقيق الدقة العلمية في وزن صحيح مقبول.

وعودًا إلى بحر الرجز وما يحققه من سعة في التصرف ضمن القالب الشعري، فإنّ التقفية الداخلية المستعملة في المتون العلمية تعدّ شكلًا آخر من أشكال الحرية في صياغة العبارة العلمية في قالب شعري، فالقافية التي طالما كانت شكلًا لازمًا في القصيدة العربية تفرض نفسها نمطًا صوتيًا يتحكم في صياغة البيت الشعري كلّه الأمر الذي يفرض على الشاعر نهاية صوتية واجبة التحقيق، فضلًا عن الشكل الشعري الواجب أيضًا، لذلك كان في التقفية الداخلية التي استعملها الحافظ العراقي مجالًا للتخلص من هذا القيد -والذي لا تنكر قيمته الصوتية- لأن الدقة في التعبير العلمي مقدمة على الإبداع الصوتي وهذه التقفية التي حقّقت التوافق ما بين عروض البيت وضربه سهَّلت كثيرًا حفظ البيت الشعري.

على أن الحافظ العراقي لم يكتفِ بكل ما أتاحه له بحر الرجز من جوازات؛ ليفيد من مبدأ الضرورة الشعرية بشكل واسع جدًا، حتى أصبحت الضرورة شيئًا ثابتًا في أبيات «التبصرة»، وهذا يدلّل بشكل واضح على تمكن الحافظ وقدرته على الإفادة مما تتيحه اللغة من ضرورات وإن كان في تكرار بعضها في البيت الواحد ثقل كان يمكن تجاوزه، ومن أبرز الضرورات في نظم الحافظ:

١. إدراج الهمزة، كقوله (٧٨)[١]:

---

(١) هذا الرقم يمثل تسلسل البيت في المتن.

في البـــابِ غـــيرهُ فـــذَاكَ عِنْـــدَهْ مِـــنْ رأيِ **اقْـــوَى** قَالَـــهُ ابـــنُ مَنْـــدَهْ

وقوله (١٣٩):

مَعْرِفَـــةُ الـــرَّاوي **بالاخْـــذِ** عَنْـــهُ وَقِيْـــلَ: كُـــلُّ مَـــا أتانـــا مِنْـــهُ

وقوله (١٥٣):

تَـــدْلِيْسُ **الاسْـــنَادِ** كَمَـــنْ يُـــسْقِطُ مَـــنْ حَدَّثَـــهُ، وَيَرْتَقِـــي بِـــ(عَـــنْ) وَ(أنْ)

٢. تسكين بعض الحروف المتحركة:

كقوله (٨٢):

كَمُـــسْنَدِ **الطَّيَالِـــسِيْ** وَأَحْمَـــدَا .....

وقوله (١٦٢):

..... **وَلِلْخَلِـــيْلِيْ** مُفْـــرَدُ الـــرَّاوي فَقَـــطْ

٣. قصر الممدود،

كقوله (١٣٦):

..... مِـــنْ دُلْـــسَةٍ رَاوِيْـــهِ، **واللِّقَـــا** عُلِـــمْ

وقوله (١٧٠):

..... خَاتَمَـــهُ عِنْـــدَ **الخَـــلا** وَوَضْـــعِهْ

٤. صرف الممنوع من الصرف،

كقوله (٨٠٩):

..... أو سَـــهْلٌ أو جَـــابِرٌ أو **بِمَكَّـــةِ**

وقوله (٨١٦):

وَقِيْـــلَ: **إِفْرِيْقِيَّـــةٍ** وَسَـــلَمَهْ .....

وقد يجمع الحافظ بين ضرورتين في موضع واحد، كقوله (٨٦٤):

وَاعْــنِ بِالاسْــمَا والكُنَــى وَقَــدْ قَــسَمْ .....

والأصل (بالأسماء) فقصر الممدود وأدرج الهمزة.

وقوله (٨٦٧):

..... النُّـــــوْنُ فِي أبي قَطَـــــنْ نُـــــسَيْرُ

فقد سكّن النون من (قطنْ) وأدغمها في نون (نسير).

وقد تتوالى الضرورات في شطر واحد مما يولد ثقلًا في قراءة البيت، كقوله:

..... أو سَـــــهْلٌ أو جَـــــابِرٌ أو بِمَكَّـــــةِ

فقد أدرج الهمزة في موضعين في (أو) الثانية والثالثة مما يجعل البيت مستثقلًا عند قراءته.

وقد يُعَلّق الحافظ -رحمه الله- معنى البيت بالبيت الذي يليه، وهذه ما يسمى بالتضمين، وهو عيب عند العروضيين، كقوله (٧، ٨):

فَحَيْـــثُ جَـــاءَ الفِعْـــلُ والـــضَّمِيْرُ لِوَاحِـــدٍ وَمَـــنْ لَـــهُ مَـــسْتُوْرُ

كَـــــــ(قَـــــالَ) أو أطْلَقْـــــتُ .....

وقوله (٥١، ٥٢):

يَقْـــدَحُ فِي أَهْلِيَّـــةِ الوَاصِـــلِ أو مُـــسْنَدِهِ عَـــلَى الأَصَـــحِّ، وَرَأوا

أَنَّ الأَصَـــحَّ: الحُكْـــمُ للرَّفْـــعِ وَلَـــوْ .....

وهكذا تنقّل الحافظ العراقي في أبيات نظمه عَلَى وفق ما يتيحه له هذا البحر من أشكال في تفعيلاته، وما يجوّزه له من الزحافات والعلل، زيادة على الضرورات التي غطّت مساحة واسعة من نظمه، مما أعطاه رونقًا وجمالًا خاصًّا وسهولةً وعذوبة وفّرت الجوَّ الملائم تسهيلًا وإفادة لمبتغي هذا العلم.

المبحث الرابع

شروح الألفية:

نظرًا لما تمتعت به ألفية العراقي من ثراء الأسلوب، واحتواء المعاني، وسلاسة الألفاظ، وترتيب الأفكار والموضوعات، فقد أصبحت ديدن طلاب هذا العلم والمشتغلين فيه، لاسيما وقد كان وكْدُ الناظم الأول تلخيص كتابٍ هو العمدة في هذا الباب، ألا وهو كتاب ابن الصلاح.

فلم يكن بدعًا من الأمر أن يتوالى عليها الشراح، ويضعون عصارة أفكارهم، دررًا نفيسة تحلي جيدَ الألفية، وتلبسها ثوبًا قشيبًا تقرُّ به عين ناظمها، ومن ثمَّ عيون المحبين لهذا العلم الشريف.

ولا غرو هناك أن تختلف طبائع هذه الشروح تبعًا لتمرس الشارح في هذا العلم، وتذوقه لحلاوة النقد والتعليل، والتخريج والتأصيل، وإفادته في المجال العلمي الذي يبرع فيه، ولعلنا لا نغادر أرض الواقع والحقيقة إذا قلنا: أن شرح الحافظ العراقي من أكثر الشروح أصالة في مادته العلمية، وأوفرها إغناءً لجوانب البحث العلمي، سواء أكان في مجاله الأصيل، أم في المجالات الطارئة الأخرى لغوية كانت أم عروضية، أم نحوية، وسواء أكان توضيحه لتلك المباحث بشكل مطول أم مختزل ؟

ثمَّ إن تلك الشروح تختلف طولًا واختصارًا حسب إشباع الشارح للمادة العلمية، وتبعًا لمقدراته، ونحن في صدد عرضنا لأهم شروح الألفية نود التنبيه على أن تحقيقنا لهذا الشرح ليس الأخير في بابه، بل ستصدر قريبًا شروح محققة على غرار هذا الشرح -إن شاء الله تعالى -.

وأهم هذه الشروح:

١-الشرح الكبير، للناظم الحافظ أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦هـ)[١].

---

(١) لم يتم المصنف هذا الشرح، قال البقاعي في نكته (٣/ ٤): «لم يوجد منه إلا قطعة يسيرة وصل فيها إلى الضعيف».

٢-الشرح المتوسط -وهو كتابنا هذا- للناظم.

٣- النكت الوفية بما في شرح الألفية، للبقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن (٨٨٥هـ)[١].

٣-شرح ألفية العراقي، لابن العيني: زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الحنفي (٨٩٣هـ)[٢].

٥-فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (٩٠٢هـ)[٣].

٦-شرح ألفية الحديث، للحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)[٤].

٧-فتح الباقي على ألفية العراقي، لقاضي القضاة زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد ابن أحمد بن زكريا الأنصاري السنكي ثم القاهري (٩٢٦هـ)[٥].

٨-شرح ألفية العراقي، لأمير بادشاه: شمس الدين محمد أمين بن محمود البخاري الحسيني (٩٧٢هـ)[٦].

٩-شرح ألفية العراقي، للمناوي: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين (١٠٣١هـ)[٧].

١٠-شرح ألفية العراقي، للأجهوري: نور الدين أبي الإرشاد عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عبد

---

(١) حققت من قبل خبير خليل عبد الكريم، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية من المدينة المنورة.

(٢) منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية بالقاهرة (قسم حماية التراث)، تحت الرقم (٤٠٢).

(٣) طبع عدة طبعات، لا تخلو من مقال. وقد أعددناه للطبع على غرار هذا الشرح.

(٤) حقق من قبل الطالبين عبد الله كريم وحسن علي لرسالتي ماجستير في جامعة بغداد، وهو قيد الطبع.

(٥) طبع طبعتين أولاهما مع شرح الناظم، والثاني بتحقيق الزاهدي، وقد طبع بتحقيقنا في دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م.

(٦) منه نسختان خطيتان في إستانبول، الأولى في مكتبة شهيد علي باشا برقم (٣٤٠)، والثانية في مكتبة محمد مراد (مراد ملا) برقم (٣٢٩).

(٧) منه نسخة خطية في مكتبة رشيد الدحداح في برلين برقم (Z٦١.٨٣٨٩٦).

الرحمن بن علي المالكي (١٠٦٦هـ)[١].

١١-نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف، للدمنهوري: أحمد بن عبد المنعم بن يوسف ابن صيام (١١٩٢هـ)[٢].

١٢-شرح ألفية العراقي لابن كيران: أبي عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام الفاسي (١٢٢٧هـ)[٣].

١٣-معراج الراقي لألفية العراقي، للبطاوري: المكي بن محمد بن علي الرباطي (١٣٥٤هـ)[٤].

(١) توجد في إستانبول نسختان خطيتان منه، الأولى في مكتبة حسن حسني برقم (٢٦٧)، والثانية في مكتبة عاطف أفندي برقم (٣٧٢).

(٢) شرح فيه مؤلفه أربعة أبيات فقط من الألفية تختص بالضعيف وتقسيماته، ومن الكتاب ثلاث نسخ خطية في دار الكتب المصرية بالقاهرة، وأرقامها: (١٦٦ تيمور) و(٢٢م) و(٣٠٤).

(٣) في مكتبة الخزانة العامة بالرباط (الجلاوي) نسخة خطية منه تحت الرقم (٥٥٩).

(٤) توجد في الخزانة العامة في الرباط نسختان خطيتان منه، الأولى برقم (٣/ ١/ ٦٥، ١٨٢١د) والثانية برقم (٣/ ١/ ٦٥، ١٨٥١).

obeikandl.com